الاستشراق والدراسات الاسلامية

جمع واعداد : اشتقت لك امي

د/ محمد سعيد صبري صباح

المحاضرة التَّمهيدية

❑ **المرجع الرئيس :**

١) **الاستشراق والدراسات الإسلامية ؛ تأليف: عبد القَهّار داود العاني .** [عمّان (الأردن) – دار الفرقان للنشر والتوزيع – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م].

❑ **المراجع المساعدة :**

١) الاستشراق ؛ تأليف: إدوارد سعيد.

٢) حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي؛ تأليف: سالم ياقوت.

٣) تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا؛ تأليف: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم .

لا تنسوا امي واخي من دعواتكم

المحاضرة الأولى

خطبة الحاجــة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب] . وبعـــــــــد :-

أيتها الطالبات الكريمات، أيها الطلاب الكرام:

أحييكُم بتحية الإسلام، تحيةِ أهلِ الجنة؛ فسلام الله عليكُم ورحمته سبحانه وبركاته، ومن رحاب جامعتكُم (جامعة الملك فيصل) أُرحب بكُم أجمل ترحيب؛ سائلا الله سبحانه لكُم النجاح، والتفوُّق، وتحصيلَ العلمِ النافعِ والمعرفةِ المفيدة.

ثم إنَّه يسرني اللقاء بكم على مائدة العلم؛ لأقدم لكم المحاضرة الأولى لمقرَّر (الاستشراق والدراسات الإسلامية)؛ تحت عنوان:

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي
خلال العصور الأولى و العصور المظلمة في أوروبا

- ❑ مراجع ومصادر تعليمية للتوَسُّع والبحث العلمي.

أولاً : الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة.

ثانياً : الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة.

ثالثاً : تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

رابعاً: العلاقة بين الجهتين بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

وسأتحدث هنا بخصوص الأمور الثلاثة الأولى، على أن أستكمل الحديث بخصوص الأمر الرابع في المحاضرة الثانية بمشيئة الله سبحانه.

مراجع ومصادر تعليمية للتوَسُّع والبحث العلمي

❑ إضافة لما ذكرته من مراجع في المحاضرة التمهيدية: أوَدُّ قبل البدء في هذه المحاضرة الإشارة إلى أنَّ هناك مراجع ومصادر تعليمية أخرى مفيدة وأنصَحُ بها الطلبة الراغبين في التَّوَسُّع الدِّراسي أو إعداد البحوث العلمية ذات الصلة بهذا المقرَّر؛ وهي الآتية: -

١. الاستشراق الفرنسي المعاصر؛ تأليف: ميشال آلار.
٢. الاستشراق أهدافه وآثاره؛ تأليف: عبد القهار العاني.
٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري؛ تأليف: محمود الزقزوقي.
٤. التبشير والاستعمار في البلاد العربية؛ تأليف: عمر فروخ والخالدي.
٥. الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة؛ تأليف: محمد عبد الله حياني.
٦. رؤية إسلامية للاستشراق؛ تأليف: أحمد غراب.
٧. صور استشراقية؛ تأليف: عبد الجليل شلبي.
٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي؛ تأليف: محمد البهي.
٩. محاضرات في الاستشراق والدراسات الإسلامية؛ تأليف: محمد عبد الدايم الجندي.
١٠. المستشرقون؛ تأليف: نجيب العقيقي.
١١. المستشرقون والإسلام؛ تأليف: عرفان عبد الحميد.
١٢. المستشرقون بين الإنصاف والعصبية؛ تأليف: محمد علوي المالكي.
١٣. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام؛ تأليف: علي الشحود (نسخة إلكترونية – المكتبة الشاملة).

أولاً: الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة

❑ **المقصود بالعصور المظلمة: -**

عاش الغرب النصراني الأوروبي مرحلة تاريخية عُرِفت لدى المؤرخين باسم (العصور المظلمة) أو (القرون المظلمة) ؛ وهي الفترة

التاريخية الممتدة من أواخر القرن الخامس الميلادي إلى أواخر القرن العاشر الميلادي ؛ أي: هي القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى. بل إنَّ البعض قد عَدَّ العصور الوسطى بأكملها [والتي هي - بالتحديد التاريخي التقريبي - الفترة الممتدة من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد الجرمان (سنة: ٤٧٦م) إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية على يد الأتراك العثمانيين (سنة: ١٤٥٣م)] عدَّها عصوراً مظلمة فيما يخص الأوروبيين.

❑ **سبب هذه التسمية: -**

أمّا سبب تسمية هذه المرحلة من تاريخ الغرب النصراني الأوروبي بهذا الاسم (العصور المظلمة) فيمكن إرجاعه إلى غرق معظم أوروبا حينذاك في ظلمات كلٍّ من :

١. الفوضى والغوغائية وانعدام النظام.
٢. غياب الحياة المدنية.
٣. الجهل والتخلف العلمي.
٤. العنصرية والتعصب الديني.
٥. كثرة الحروب والصراعات العرقية.

ثانياً: الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة

حاول بعض المستشرقين سحب الظلمات التي كانت تغطي أجواء أوروبا لتشمل معهم الشرق الإسلامي المسلم؛ مدَّعين زوراً وبهتانا أن التاريخ العالمي بأكمله قد مرَّ بمرحلة العصور الوسطى وأنها كانت عصورا مظلمة في حق جميع الشعوب.

لكن الحقيقة الماثلة أمام الجميع والتي لا يمكن طمس معالمها وتغييرها هي غير ذلك؛ ففي الوقت الذي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيش تلك الأوقات العصيبة المظلمة كان المسلمون في بغداد وغيرها من حواضر الشرق الإسلامي يعيشون عصراً ذهبياَ، مشرقاً بنور الإيمان والعلم والازدهار الحضاري. فهما حالتان متناقضتان في الغرب النصراني والشرق الإسلامي، ينبغي عدم تعميم إحداهما على الأخرى.

تقول الدكتورة نجلاء عز الدين – وهي باحثة أمريكية الجنسية عربية الأصل – في كتابها (العالم العربي):((تعتبر العصور الوسطى عادة أنها عصور مظلمة ، وفي هذا الاعتبار تجاهل للنشاط الثقافي الجاري حينذاك

في الشرق الأدنى وتأثيره على أوروبا، وهو يعطي صورة مغلوطة مشوهة عن تطور الحضارة العربية. والحقيقة هي أننا لو درسنا الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى وجدنا تلك العصور تضاهي في إشراقها أي عصر آخر من الإبداع والإنتاج في التاريخ)).

وقد ألقى المستشرق المنصف المدعو (جورج سارتون) نوراً ساطعاً على هذه المرحلة التاريخية للتطور البشري في كتابه العظيم (مقدمة لتاريخ العلم)؛ حيث تتبع فيه المعرفة ونمو الفكر البشري من الصين شرقاً إلى إيرلندا غرباً خلال ألفي سنة من التاريخ؛ من (هوميروس) قبل الميلاد حتى آخر القرن الثالث عشر

للميلاد، وقسَّم بحثه الشامل هذا حقبات زمنية؛ مدة كل حقبة منها نصف قرن، ويحمل كل منها اسم المفكر أو العالم الذي نبغ فيه.

وقد احتل النتاج العقلي للحضارة العربية الإسلامية مرتبة متقدمة في هذا الكتاب؛ بل كان في الطليعة الأولى؛ حيث حملت حقباته أسماء الكثيرين من علماء العرب والإسلام، منهم - على سبيل المثال لا الحصر- العالم الكيميائي المسلم جابر بن حيّان، الذي ورد ذكره في ذلك البحث في سياق الكلام الآتي: ((ولم تكد تمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم؛ أي: في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزاً لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فتية وعزم متوقد تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق

المنشأة حديثاً: البصرة والكوفة وبغداد.

والنصف الثاني من هذا القرن – أي: القرن الثامن للميلاد - هو عصر جابر بن حيّان، المعروف عند الأوروبيين في العصور الوسطى، وهو أعظم رجال العلم في تلك العصور... وتأثير جابر واضح في سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا)).

وقد عدَّ (سارتن) القرن التاسع للميلاد قرناً إسلاميا؛ بسبب التفوق العارم لمؤلفات العلماء والباحثين المسلمين على ما أنتجته الأقطار الأخرى، وأكّد على أنَّ هذا التفوق قد استمر طوال القرن العاشر للميلاد؛ حيث نشرت جميع الاكتشافات الجديدة والآراء الحديثة باللغة العربية التي كانت حينذاك (الوسيلة الدولية للتقدم العلمي)، ولم يُنْشر باللغات الأخرى سوى النزر اليسير.

ثالثاً: تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

- ❑ اشتد النشاط العلمي عند المسلمين في القرن الحادي عشر للميلاد ؛ فبلغت فيه الحركة العلمية ذروتها في العصور الوسطى، وصار العلم عندهم مناراً يُهْتَدى به في ظلمات تلك القرون التي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيشها حينذاك.
- ❑ ولمّا أدرك الغرب النصراني الأوروبي تلك الحقيقة التي رآها ماثلة أمامه؛ حرص على استيراد العلم من العالم الإسلامي لكي يُبَدِّدَ به الظلمات التي كان يعيشها، وعمل على نقله إليه بطرق كثيرة، كان منها ما يأتي: -

- ✓ طريق الأندلس؛ البلد الإسلامي الذي كان حينذاك محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل؛ فمن الأندلس العربية الإسلامية انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا.

- ✓ طريق الترجمة: وقد كان من أقدم المترجمين الأوروبيين وأعظمهم كل من: -

١) المترجم (**أديلارد أوف باث**) ، الذي تعلم اللغة العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا ، وكان شديد الإعجاب بالعلوم العربية.
المترجم (**مايكل سكوت**) ، الذي تعلم اللغة العربية في الأندلس، ثم دخل في خدمة ملك صقلية (**فردريك الثاني**) وترجم العلوم والفلسفة من العربية ، وكان أحد مؤسسي فلسفة ابن رشد اللاتينية.

- ✓ كما حث كثيرون من علماء أوروبا طلابهم على التوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم ؛ فمن هؤلاء(**روجر باكون**)؛ الذي كان كثير الإعجاب باللغة العربية وعلومها، وأشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب.

المحاضرة الثانية

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي
بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية.

رابعاً: مُعاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام

- بدأ اهتمام الغرب بالعرب وبلادهم (شبه الجزيرة العربية) منذ ما قبل الميلاد؛ وهذا ما أظهره النظر في كتب المؤرخين القدامى من أمثال: -
- ✓ المدعو (هيروديتس) مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، الذي كشف عن اهتمامه بالعرب من خلال ما كتبه عنهم في غير واحد من كتبه المتعددة.
- ✓ المدعو (ينوفراست) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد – وكان تلميذاً للفيلسوف المشهور (أرسطو) – فقد بلغ من اهتمامه ببلاد العرب أنْ تحدث عنها حديثاً شيقاً في كتابه (تاريخ النبات).
- واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد الميلاد أيضاً، وهذا ما أثبتته دراسات تاريخية متعددة ! كتلك المتعلقة بما كتبه المؤرخ الروماني الشهير المدعو (جليني) في القرن الثاني للميلاد؛ فقد ثبت أنه جمع أسماء قبائل (وسط شبه الجزيرة العربية) ومدنها وقراها، ودوَّنها في كتبه.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام

يُعَدُّ العرب بوتقة الإسلام الأولى وحاضنته الرئيسة، وبعد ظهور الإسلام فيهم - على يد الحبيب المصطفى (محمد بن عبد الله) وانتشاره في عموم (شبه الجزيرة العربية) خلال القرن السابع الميلادي - ازداد اهتمام الغرب

النصراني بالتعرف عليهم؛ إلا أنَّ ما عرفه هؤلاء بخصوص العرب المسلمين ودينهم الجديد حينذاك كان قليلاً جداً؛ فمن ذلك: -

- ✓ علمهم بظهور دين جديد في (شبه الجزيرة العربية) يسمى الإسلام، على يد نبي اسمه (محمد بن عبد الله)
- ✓ وعلمهم بتحَوُّلِ مدينتين من مدن (شبه الجزيرة العربية) وهما (مكة) و(المدينة) - بعد ظهور الإسلام - إلى مدينتين مقدستين عند المسلمين.
- ✓ وانتشار خرافة بينهم؛ مفادها: أنَّ جثمان النبي الكريم (محمد) معلق في الهواء.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية

- لمّا انتشرت الفتوحات الإسلامية، ووصلت معالم الدين الإسلامي الجديد آفاق المشرق والمغرب؛ برزت في أوروبا حالة دينية جديدة، تمثلت في التخلي عن النصرانية والإقبال على اعتناق الإسلام مِن قِبَلِ أعدادٍ غفيرة من نصارى أوروبا، قُدِّرَت بعشرات الملايين.
- وقد ساعد على اقتناع هؤلاء بالإسلام ثم اعتناقهم إيّاه: ما حوته كتبهم المقدسة من بشارة بظهور النبي (محمد) بعد (عيسى) - عليه السلام -، وما لمسوه في المسلمين الفاتحين من وَرَع وعدل، وما وجدوه في دين الإسلام من رحمة وإنسانية وتسامح وتشريع فريد من نوعه.
- بهذا الخصوص؛ يقول (ولفرد سميث) في كتابه: الإسلام في التاريخ الحديث:" <u>والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمنوا به بعشرات الملايين</u>".

رابعاً: معاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية

- ما إنْ ظهرت راية الإسلام في الأندلس وثبتت حضارته فيها وفي غيرها، ونال الكثيرون من الغربيين النصارى شرف الدخول في الإسلام؛ حتى بدأ الغرب النصراني الرسمي (ممثلاً برجال الكنيسة) ينظر إلى الإسلام نظرة توجس وريبة، <u>يساوره الخوف على أهليه أنْ تزداد أعداد المعتنقين منهم للإسلام</u>.

- لذلك سارع إلى عزلهم عن أنْ يروا نور الإسلام على صفائه وربانيته؛ وسلك في سبيل ذلك طرقاً عِدَّة، كان من بينها طريق الكتابة عن الإسلام ونشر الأبحاث العلمية عنه؛ بعد شحنها بالشبهات العقدية، وملئها بالافتراءات على كتاب الإسلام ورسول الإسلام (محمد) ؛ مُقَدِّماً لأهليه بذلك إسلاماً مشوهاً، على أمل تحصينهم ضدّه، والحيلولة دون انتشاره بينهم.

بهذا الخصوص؛ يقول (برناردشو)، الغربي المعروف بثاقب فكره وسعة اطلاعه، ـ وفقاً لما نقله العاني في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية ـ :

" لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك؛ إمّا جهـــلاً وإمّا تعصباً. إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل **بغض محمد ودينه**، فعندهـــم أنّ محمداً كان عدواً للمسيح.

ولقد درست سيرة محمد، الرجل العجيب؛ وفي رأيي أنّه بعيد جداً من أنْ يكون عدواً للمسيح، إنّما ينبغي أنْ يُدْعى (منقذ البشرية) ".

ولعلَّ من أصرح ما يدل على بغض رجال الكنيسة لمحمد ودينه الحنيف؛ ما ورد على لسان المستشرق (كيمون) بهذا الخصوص؛ وهو قوله:" إنَّ الديانة المحمدية جذام! تفشّى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً".

ويقول أحمد غراب في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق، تحت عنوان(موقف الغرب من الإسلام في القرون الوسطى):

- " كان موقف الغرب من الإسلام في تلك الفترة [أي: القرون الوسطى] موقفاً ينطوي على بعض الإعجاب الممتزج بالشعور بالهيبة أمام قوة الإسلام وحضارته.
- ولكن الخوف كان هو العنصر الأساسي الذي ظل يسيطر على هذا الموقف طوال القرون الوسطى؛ فقد كان الغرب ينظر إلى الإسلام على أنّه يمثل خطراً حقيقياً (عقائدياً وحضارياً وحربياً) على أوروبا المسيحية.

- فمنذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) كانت قوة الإسلام المتكاملة (السياسية والحربية والثقافية والروحية) في نمو مضطرد وانتشار مستمر.
- وخلال القرون الثلاثة الأولى شملت الفتوحات الإسلامية بلاداً كثيرة، ومناطق شاسعة، ذات أهمية حيوية، كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المسيحية؛ منها مصر والمغرب وإسبانيا (الأندلس) وصقلية وبعض أجزاء فرنسا.
- وامتد الزحف الإسلامي تدريجياً إلى شبه القارة الهندية وأندونيسيا والصين في آسيا، بالإضافة إلى امتداده إلى أفريقيا.
- ولم تكن الفتوحات الإسلامية مجرد فتوحات حربية؛ بل كانت في كثير من جوانبها فتوحات حضارية **وعقائدية**؛ فقد دخل كثير من الناس، وكثير من المسيحيين أنفسهم في الإسلام، وفقدت المسيحية أعداداً كبيرة من أتباعها الذين اختاروا الدخول في الإسلام؛ وبخاصة في البلاد التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية.
- وكانت أوروبا تشهد هذا التوسع الإسلامي، وهي تمر بفترة من التخلف والجهل؛ وصفها المؤرخ (جيبون) – في كتابه: تاريخ انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية - بأنها كانت أحلك الفترات في التاريخ الأوروبي "

➢ إذَنْ؛ فقد تضافر الخوف من توسع انتشار الإسلام، مع الجهل بتعاليمه السمحة، والحقد عليه في تكوين صورة مشوهة عنه لدى الغرب النصراني في العصور المظلمة في أوروبا.

تعليق

اتَّضَحَ مما سبق من حديث بخصوص (العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي خلال العصور الأولى والعصور المظلمة في أوروبا) أمران رئيسان: -

أحدهما: أنَّ الغرب النصراني قد استفاد من علوم الشرق الإسلامي استفادة كبيرة؛ بدَّد بها ظلام أحلك الفترات في تاريخه.

والآخر: أنَّ الغرب النصراني في الوقت نفسه الذي كان ينهل فيه من علوم المسلمين؛ كان يعادي دينهم (وهو الإسلام) ويحاربه، ويعمل جاهداً على الإساءَة إليه بشتى الوسائل المتاحة.

المحاضرة الثالثة

تاريخ الاستشراق

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغةً.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحاً.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق).

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق).

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغة

- (الاستشراق): مصدر الفعل (استشرق)؛ [تقول: استشرق، يستشرق، استشراقاً؛ فهو مستشرق].
- وكلمة (استشراق): كلمة حديثة، مشتقة من مادَّة (شرق)؛وقد استعملت أصلاً للدلالة على الاتِّجاه نحو جهة الشرق.
- وقد ورد تعريف كلمتي (استشراق) و(مستشرق) في (معجم متن اللغة) على النحو الآتي: " (الاستشراق): طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك (مستشرق)، وجمعه (مستشرقون)، وما ينجزونه يسمى (استشراقاً) ".
- وكلمة (استشراق) هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أورياناتاليزم :Orientalism)، وأمّا كلمة (مستشرق) فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أوريانتاليست: Orientalist)؛ فكلتاهما مأخوذتان من الكلمة الإنجليزية (أوريانت: Orient) التي هي بمعنى الشرق.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحا

حظي الاستشراق بتعريفات اصطلاحية كثيرة، عرَّفه بها المشتغلون بالدراسات الاستشراقية، وكذلك الباحثون في هذا المجال؛ من مستشرقين وغيرهم**!؛ وفيما يأتي ذِكْرُ أربعة من أهمِّها: -**

١) عرَّفه المستشرق الألماني المشهور (رودي بارِت) بأنَّه: (علم الشرق، أو علم العالم الشرقي).
٢) وعرَّفه المفكر الإسلامي (محمد حيّاني) بأنَّه: (دراسة علوم الشرق في بلاد الغرب للتمكن من صياغة الشبهات ضد الإسلام ولغته بالأسلوب المناسب).
٣) وعرَّفه (إدوارد سعيد) بأنَّه: (أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله *، وممارسة السلطة عليه). [أي*: إعادة صياغة الشرق وتشكيله في شتى المجالات؛ ولا سيما في المجالين: الفكري والثقافي].
٤) وعرَّفه المفكر الإسلامي (أحمد غراب) بأنَّه: (دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب (عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونُظُماً وثروات وإمكانيات)؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تَدَّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على **الشرق الإسلامي**).

والذي يظهر من دراسة هذه التعريفات الأربعة وغيرها، أنَّ هذا التعريف الأخير هو أقربها إلى الدقة والشمول؛ **لأنَّه يؤكد على الصفة الأساسية للشرق الذي تتركز عليه الدراسات الاستشراقية، وهو الشرق الإسلامي**؛ الذي لا بد أنْ يكون هو مركز الاهتمام في دراسة الاستشراق.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً

- عَرَّفَ [قاموس أكسفورد الإنجليزي - Oxford Dictionary] (المستشرق) بأنَّه : مَنْ تَبَحَّرَ* في لغات الشرق وآدابه.[أي*: الغربي الذي تَبَحَّرَ في ..].
- ويرى بعض الباحثين في مجال الاستشراق عدم حصر مصطلح (مستشرق) في وصف الغربي الذي يكتب عن الشرق، ويدعون إلى توسيعه ليشمل كل من يكتب عن الشرق بنفس طريقة كتابة المستشرق الغربي حتّى وإنْ كان من أبناء الشرق الإسلامي نفسه.
- ومِمّا يحسن ذكره أنَّ بعض الكتاب الغربيين الآن ينفرون من استعمال هذا المصطلح (مستشرق)، ويحبون استعمال مصطلح

(متخصص في الدراسات الشرقية) بدلاً منه؛ وذلك نظراً لما صار يحمله هذا المصطلح من أبعاد وخلفيات مُحْرِجَة أحياناً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق)

❑ **نشأة (الاستشراق)؛ كمصطلح:**

- لم تكن كلمتا **(استشراق) و (مستشرق)** متداولتين في العصور المتقدمة، وإنَّما ظهرتا في زمن متأخر جدّاً؛ بل يشير بعض الباحثين إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على أنَّهما الفترة التي ظهرتا فيها.
- فقد ظهرت كلمة **(استشراق)** - [أوريانتاليزم: Orientalism] - في اللّغة الإنجليزية عام (١٨١١م)، وفي اللغة الفرنسية عام (١٨٣٠م).
- أمّا كلمة **(مستشرق)** – [أوريانتاليست" (Orientalist] - ؛ فقد ظهرت في اللغة الإنجليزية عام (١٧٧٩م) ، وفي اللغة الفرنسية عام (١٧٩٩م).
- لكنه لم يتم إقرارهما كمصطلحين في المعاجم اللغوية، إلا بعد انتشار تداولهما في الأوساط العلمية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

حيث تم إدراجهما ضمن المصطلحات الواردة في (قاموس الأكاديمية الفرنسية) سنة (١٨٣٨م)، أي: خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

- يُذْكر أنّ كثيراً من الترجمات الاستشراقية أصدرها المستشرقون قبل ظهور مصْطَلَح (استشراق)، وكانت أهدافهم السيئة من إصدارها واضحة وضوح الشمس دون أنْ يلقبوا في تلك الفترة بالمستشرقين؛ وعليه فإنَّ النشاط الاستشراقي، وكذلك ترجمة العلوم العربية والإسلامية قد سبقا مصطلح (**استشراق**).

❑ **نشأة (الاستشراق)؛ كفكر ونشاط:**

- كان الاستشراق في بداية أمره جهوداً فردية وعفوية؛ مما صعَّب على الباحثين والمؤرخين تحديد تاريخ نشأته بدقة بسنة معنية أو فترة معينة؛ فاختلفوا في ذلك وتباينت آراؤهم.
- ففي حين أرجع بعضهم ظهوره إلى ذلك اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، رأى آخرون أنَّه ظهر مع ظهور الإسلام وحدوث أول لقاء بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصارى نجران.

- بيد أنَّ هناك آراء اشتهرت بين المؤرخين بهذا الخصوص؛ وفيما يأتي عرض لأبرزها: -

.الرأي الأول: أنّه نشأ في أواخر القرن السابع الميلادي
وذلك لأن أول اهتمام من النصارى بالكتابة عن الإسلام والرد عليه ظهر في ذلك الوقت؛ عندما كتب يوحنا الدمشقي (٦٧٦م - ٧٤٩م) .كتابه الذي وضَّح فيه للنصارى كيفية مجادلة المسلمين

.الرأي الثاني: أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي
وذلك لأنّه الفترة التي شهدت ذهاب الرهبان الأوروبيين إلى الأندلس الإسلامية، وتزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد اهتمامهم بحركة الترجمة، حيث كان من أبرز من اهتم بهذا الأمر الراهب الفرنسي (جِرْبِرت)؛ الذي درس في الأندلس ثم لمّا تقلد منصب البابوية عام (٣٩٠هـ) الموافق (٩٩٩م) أوصى بفتح .المدارس وترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية
يُذْكَر أنَّ الكاتب (نجيب العقيقي) كان من الذين رأوا هذا الرأي.

الرأي الثالث: أنّه نشأ في القرن الثاني عشر الميلادي.

وذلك لأنّه القرن الذي تمّ فيه إنجاز الغرب النصراني لأوّل عمل علمي مُمَيّز – من وجهة نظرهم – وهو ما تمثل في إتمام أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام (٥٢٨هـ) الموافق (١١٤٣م)، على يد المدعو (روبرت أوف كيتون)، وبمعاونة من المدعو (فرمان أوف دالماتيا).

يُذْكَر أنَّ المستشرق الألماني (رودي بارت) كان من الذين رأوا هذا الرأي.

الرأي الرابع: أنّه نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي.

وذلك لأنَّه القرن الذي أمر فيه ملك (قشتالة) الملقب بالحكيم والمدعو (الفونس العاشر) بإنشاء معهد للدراسات العليا (سنة:١٢٦٩م)، وجعل من اهتمامات ذلك المعهد ترجمة معاني القرآن الكريم ليس إلى اللاتينية وإنَّما إلى اللغة الإسبانية،

واختار لذلك المعهد بعض المترجمين من المسلمين والنصارى واليهود ليمارسوا الترجمة إلى اللغة الإسبانية؛ فترجم المسلمون معاني القرآن الكريم إلى الإسبانية، وترجم النصارى (الإنجيل) إلى الإسبانية، وترجم اليهود (التوراة والتلمود) إلى الإسبانية.

الرأي الخامس: أنّه نشأ في القرن الرابع عشر الميلادي.

وذلك لأنَّه القرن الذي انعقد فيه مؤتمر (فيينا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ حيث تقرَّر في ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، فَعُدَّت تلك القرارات البداية الرسمية للاستشراق، أو (بداية الاستشراق الرسمي)؛ نظراً للصفة الرسمية لمؤتمر فيينا الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب.

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق)

- يكاد المؤرخون يجمعون على أنَّ الاستشراق لم ينتشر بصورة جدية في العالم الغربي اليوم إلا بعد حركة الإصلاح الديني التي قام بها المدعو (مارتن لوثر) وغيره، خلال القرن السادس عشر الميلادي.
- فمنذ ذلك القرن بدأت أوروبا ببناء نهضتها الصناعية والعلمية، وأنشأت العديد من الجامعات، وافتتحت العديد من مراكز البحوث، وأنفقت ولم تزل تنفق على تلك الجامعات والمراكز بسخاء؛ فتحركت فيها الدوائر العلمية، وأخذت تصدر كتاباً تلو كتاب، وبحثاً تلو آخر.
- ثم ازداد النشاط الاستشراقي في العالم الغربي بعد تأسيس كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية؛ مثل: كرسي كامبريدج (سنة:١٦٣٢م)، وكرسي أكسفورد (سنة: ١٦٣٨م).
- ويُعَدُّ تأسيس الجمعيات العلمية؛ مثل: (الجمعية الأسيوية البنغالية)، و(الجمعية الاستشراقية الأمريكية)، و(الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية) بمنزلة الانطلاقة الكبرى للاستشراق؛ حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف، وفي التعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلاً عمّا كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية.
- وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة: إنشاء (مدرسة اللغات الشرقية الحية) في فرنسا، برئاسة المستشرق الفرنسي (سِلْفِستِر دي ساسي)؛ التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين، وأسهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن.
- ازدهرت الحركة الاستشراقية ازدهاراً حقيقياً في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين؛
  - ✓ ففي هذين القرنين ظهرت الجمعيات الاستشراقية،
  - ✓ وخلال هذين القرنين بدأ عقد المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ حيث عُقِدَ أول مؤتمر دولي لهم في القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام (١٨٧٣م).

المحاضرة الرابعة

أهداف الاستشراق

لم ينشأ الاستشراق عبثاً ! بل نشأ لتحقيق أهداف كثيرة؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الأهداف: ـ

أولاً: هدفه الديني.

ثانياً: هدفه العلمي.

ثالثاً: هدفه التجاري.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري.

أولاً: هدفه الديني

- يُعَدُّ الهدفُ الديني أوَّلَ أهداف الاستشراق وأهمَّها على الإطلاق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، كما كان مصاحباً له خلال مسيرته التاريخية الطويلة، لم ينفَكَّ عنه؛ إذْ لم يكن من السهل على معظم المستشرقين النصارى نسيانُ إنكار الإسلام لعقيدتي (التثليث) و (الصلب والفداء) الأساسيتين في ديانتهم النصرانية، ولا نسيان المد الإسلامي الذي محى النصرانية عن وجه الخريطة في كثير من بقاع الأرض؛ يوم أنْ اعتنقه ملايين النصارى، فتربع على قلوبهم؛ وكان الحق الذي أزهق الباطل.
- إنَّ الغرب النصراني قد عَدَّ التعرف على الإسلام (بالتعمق في دراسته) الوسيلة المثلى لتشويهه ومن ثم لتنفير النصارى منه، ومحاربتِه، وإطلاقِ حملات (تنصيرية) لتنصير أتباعه في الشرق الإسلامي وغيره من أماكن تواجد المسلمين؛ لذا فإنَّ الهدف الديني للاستشراق قد سار - منذ البداية - في

ثلاثة اتجاهات متوازية، متضافرة، عملت معاً جنباً إلى جنب لتحقيقِه؛ وهذه الاتجاهات هي الآتية: -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولةِ دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه. وهو ما سمّاه بعضهم (حماية النصارى من خطر الإسلام).

الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتِه عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية)؛ وذلك من خلال ممارسة ما يأتي:
-

١. عملياتِ تشويه للعقيدة الإسلامية ومبادىء الإسلام وقِيَمِه ومصادره وتاريخه.
٢. الطعنِ في القرآن والتشكيك في صحته.
٣. الطعن في شخص الرسول محمد والتشكيك في صحة رسالته.
٤. الطعن في الحديث النبوي والتشكيك في صحته.
٥. الطعن في الفقه الإسلامي، بادِّعاء أنَّه مستمد من الفقه الروماني.
٦. الطعن في قدرة اللغة العربية على مسايرة ركب التقدم العلمي.

الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفسادِ دينِهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً.

إذَنْ؛ فقد كان الهدف الديني للاستشراق بحق هدفاً صليبياً – وِفْقاً لما يراه المفكر الإسلامي المعاصر أحمد الحليبي –؛ بل "ويمكن تسميته بالهدف الأسود؛ لِما انطوى عليه من حقد على الإسلام وأهله، ومن إضمار الشر للأمة الإسلامية ".

ثانياً: هدفه العلمي

- يُعَدُّ الهدف العلمي واحداً من أهم أهداف الاستشراق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء إقبال الأوروبيين على دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية؛ بعد اقتناع زعمائهم بأنَّه " إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم؛ تدرسُ لغاته وآدابه وحضارته".
- لقد عَدَّ الغربيون دراسةَ منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، أَخْذٌ بسبب من أسباب النهضة؛ لذا لم يتركوا كتابات لعلماء المسلمين في مجال ما إلاّ واطلعوا عليها، وترجموا عنها، ونهلوا من معينها، ثم ألّفوا فيها بعد ذلك؛ إذ الكتابة وليدة القراءَة.
- وتظهرُ هذه الحقيقة واضحةً جلية عند الرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، وإلى قوائم مؤلفات المستشرقين المتعلقة بعلوم الشرق الإسلامي؛ فلقد " بلغ ما ألّفوه عن الشرق في

قرن ونصف قرن – منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين – ستين ألف كتاب " !؛ شملت دراسات في العقيدة والشريعة، وعلوم القرآن، وعلوم السنة النبوية، والتصوف والأخلاق، وتاريخ الأدب العربي، والتاريخ العربي الإسلامي، وغير ذلك من الموضوعات الدينية والعربية.

- وإنَّ مما يحسن التنبيه عليه بخصوص هذا الهدف أنَّ المستشرقين (في دراستهم لمنجزات الحضارة الإسلامية، وإقبالهم على كتب التراث الإسلامي) تنوّعوا نوعين؛ هما: -

النوع الأول: مستشرقون منصفون؛ ذووا هدف علمي موضوعي؛ هو معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة؛ للتمسك بها.

وهؤلاء قِلَّة؛ اعترفوا بأنَّ المبادئ الإسلامية تتفق والحقائق العقلية المنطقية، وتتوافق مع الحقائق العلمية، وشهدوا للفكر الإسلامي بالريادة في العلوم عامّة وفي العلوم التجريبية والرياضية خاصَّة؛ بل إنَّ بعضهم قد اقتنع بالإسلام، فسارع إلى اعتناقه، وجَنَّد نفسه للدفاع عنه وعن قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته.

وإذا كان بعض هؤلاء لمْ يسلم من الوقوع في أخطاء علمية، أو الخلوص إلى استنتاجات بعيدة عن الحق؛ فما ذاك إلا لجهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها، أو لحداثة إسلامهم وجهلهم بتفصيلات التاريخ الإسلامي؛ ولا يطعن ذلك أبداً في موضوعيتهم ونزاهتهم.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): " أقبل نفر قليل من المستشرقين على كتب التراث الإسلامي بهدف الاطلاع على حضارات الأمم الشرقية وثقافاتها ولغاتها، ودراستها دراسة موضوعية وجادَّة؛ رغبةً في الوصول إلى الحقيقة العلمية. وقد كان هؤلاء أقلَّ من غيرهم خطأ؛ لأنَّهم - فيما يظهر - لم يتعمدوا التحريف والدس، فجاءَت بحوثهم أقربَ إلى الصواب والموضوعية من غيرهم، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام".

ومن أمثلة هذه القلَّة المنصفة: -

- ✓ (آني ماري شيمل)؛ وهي من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، درست الإسلام ففهمته، وعرضته لبني قومها بأسلوب علمي موضوعي جعلهم يمنحوها لذلك أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا؛ وهي الجائزة المعروفة

لديهم باسم(جائزة السلام)، وأصدرت العديد من الكتب التي أنصفت فيها الإسلام والمسلمين كثيراً؛ كان من بينها كتاب (محمد رسول الله)؛ الذي بسطت فيه مظاهر إجلال المسلمين لرسول الله .

- ✓ (ليوبلد فايس)؛ وهو مستشرق نمساوي، أسلم وغيّر اسمه إلى (محمد أسد).
- ✓ (دانين دينيه)؛ وهو مستشرق وفنان فرنسي، أسلم وغيَّر اسمه إلى (ناصرالدين دينيه)، وألّف كتاباً سمّاه (أشعة خاصة بنور الإسلام)؛ بيَّن فيه تحامل الغرب النصراني على الإسلام والرسول محمد ، وقد عاش في الجزائر ودُفِنَ فيها (بعد موته في فرنسا).
- ✓ (روجيه جارودي)؛ وهو مستشرق وفيلسوف فرنسي، أسلم وغيَّر اسمه إلى (رجاء جارودي)، وألَّف عدة كتب دافع فيها عن قضايا العالم الإسلامي، وخاصة القضية الفلسطينية، وحق الشعب الفلسطيني في وطنه (فلسطين).

النوع الثاني: مستشرقون متعصبون؛ ذووا هدف علمي مُغْرِض؛ يتمثل في دراسة التراث الإسلامي دراسة مُعَمَّقَةً، الغرض منها تشويهُ الحقيقة، وتنفير الناس.

وهؤلاء هم الكثرة الكاثرة من المستشرقين؛ الذين يلتقي لديهم الهدف العلمي للاستشراق بالهدف الديني له، في إضمارهما كليهما الشرَّ للأمة الإسلامية.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): " تغلبت النزعة العدائية للإسلام على معظم المستشرقين في كتاباتهم؛ ويعود هذا إلى إدراكهم أنَّ الإسلام بعقائده وتعاليمه وأحكامه هو الدين الحق؛ لذا عمدوا إلى تشويه صورته في نفوس المسلمين ولدى أبنائهم، مستخدمين أسلوب إثارة الشبه، والتقليل من شأن الدين الإسلامي، وتزوير تاريخه؛ لتنفير الناس منه ".

ومن أعلام هذه الكثرة المتعصبة: -

- ✓ (كارل بروكلمان)؛ وهو مستشرق ألماني، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، وألف فيه كتاباً سمّاه (تاريخ الشعوب الإسلامية) ضَمَّنه كثيراً من المغالطات والافتراءات على الإسلام.
- ✓ (هنري لامانس)؛ وهو مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، اشتُهِرَت بافتقارها للنزاهة في البحث

والأمانة في نقل النصوص وفهمها. وقد عُدَّ نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.

- ✓ وآخرون؛ سيأتي ذكرهم في مواقعهم من مفردات هذا المقرَّر – بمشيئة الله -.

ثالثاً: هدفه التجاري

ظهر الهدف التجاري للاستشراق واضحاً جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي الذي اجتاح العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

- إذْ عندما بدأ الأوروبيون نهضتهم العلمية والصناعية، وبدأت صناعاتهم بالازدهار؛ كانت مصانعهم بحاجة (من جهة) إلى مواد أولية لتغذيتها، وبحاجة (من جهة ثانية) إلى أسواق تجارية لتصريف منتجاتها؛ فكان لا بد لهم من محاولة معرفة البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أنْ تكون (في الوقت نفسه) أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم، وتعود عليهم بالخير العميم (تجارياً وصناعياً)، وتحقق الرفاهية لشعوبهم.
- لهذا كانت الشركات الغربية الكبرى تقدم للباحثين في شؤون الشرق الإسلامي المال الوفير؛ مقابل حصولها منهم على تقارير معرفية تتعلق بجغرافية تلك البلاد الإسلامية وثرواتها الطبيعية والبشرية وحاجات أسواقها.
- من هنا حصل المستشرقون على الدعم المالي السخي لأبحاثهم ودراساتهم التي قاموا بها بخصوص وصفهم لمنابع الثروات في البلاد الإسلامية.
- ويرى بعض الباحثين: أنَّ الهدف التجاري للاستشراق لم يتوقف عند بدايات الاستشراق؛ بل لم يزل أحدَ أهمِّ الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية؛ فمصانع الغربيين لم تزل بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولم تزل (في الوقت نفسه) بحاجة إلى أسواقه لتصريف إنتاجها (الزائد عن حاجة أسواقها المحلية)، ولجني المزيد من الأرباح.

- يُذْكَر؛ أنَّ بعض أشهر البنوك الغربية لم تزل تصدر تقارير شهرية، هي في ظاهرها تقارير اقتصادية وفي حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة؛ حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية

والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العـالم الإسلامي.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري

(سيأتي الحديث عنه ضمن الحديث عن علاقة الاستشراق بالاستعمار، بمشيئة الله سبحانه)

لاتنسوا امي واخي من دعواتكم

المحاضرة الخامسة

آثار الاستشراق

أثَّر الاستشراق في العالم الإسلامي (تأثيرات سلبية)، في كل من المجالات: الديني، والعلمي، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي، وغيرها؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الآثار السلبية: ـ

أولاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الديني.

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي.

أولاً: أبرز آثاره السلبية فى المجال الدينى

١) ظهورُ تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين نادوا بالعلمانية (أي: فصل الدين عن الحياة)؛ اقتداء بالغرب النصراني الأوروبي الذي ثار على الدين – ممثلاً بالكنيسة - وحاربه وقصره على الممارسات الشعائرية التعبدية داخل الكنائس؛ مخالفين بذلك ما جاء به الإسلام من ربط لكل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور الإسلامي للعلاقة بين الخالق سبحانه والمخلوق والكون.

توضيح ذلك:

إنَّ البعثات العلمية الأولى التي انطلقت من بعض أقطار العالم الإسلامي (مثل: تركيا ومصر وإيران والمغرب) إلى (فرنسا)؛ لدراسة الهندسة والعلوم التجريبية والفنون الحربية، كانت خاضعة لإشراف المستشرقين الفرنسيين

كالمستشرق (جونار) - الذي كانت البعثة المصرية تحت إشرافه – وغيرِه؛ فحرص هؤلاء المستشرقون على نقل ثقافة الفرنسيين وطريقة تفكيرهم اللادينية إلى طلابهم المسلمين أثناء دراستهم وقبل تخرجهم.

ولمّا عاد هؤلاء المبتعثون إلى بلادهم؛ بعد انبهارهم بما شاهدوه في الغرب (من تقدم تقني) وتأثرهم بما غرسه معلموهم والمستشرقون

المشرفون عليهم في نفوسهم وعقولهم من أفكار ونظريات هدّامة (في مجال الدين)؛ ما كان منهم إلا أنْ هاجموا الدين الإسلامي وحمَّلوه مسؤولية تأخر المسلمين عن ركب التقدم، وزعموا أنَّ المسلمين لنْ يتقدموا حتى يتحرروا من قيوده- مثلما تحررت أوروبا من قيود الدين النصراني المتمثل في سلطة الكنيسة - ؛ لذا دعوا إلى التحرُّر من الدين، وذلك بفصله عن الدولة، وإبعاده عن التدخل في شئون الحياة، وجعله مجردَ تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها، وشعائر تعبدية محصورةً في المساجد.

٢) انجذابُ بعض أبناء المسلمين (من مفكرين وعلماء وأُناسٍ عاديين أو عامّة) إلى الاهتمام بدراسة الطرق الصوفية أو اتِّباعها؛ تأثُّراً منهم بما نالته تلك الطرق من مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية.

٣) اشتهارُ الفرق المنحرفة كفرقتي (الرافضة) و (الإسماعيلية) – على سبيل المثال لا الحصر – لدى الغربيين عن الإسلام، وظنهم أنَّها هي الإسلامُ ذاتُه؛ وذلك لمبالغة المستشرقين في الاهتمام بها، وتركيزهم على دراستها تركيزاً كبيراً، ساعد على اشتهارها.

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي

١. انتشارُ كتب المستشرقين، المتضمنة لدراساتهم وأبحاثهم التي أجروها في موضوعات متعلقة بالإسلام (عقيدة وشريعة وسلوكاً وتاريخاً وغير ذلك)؛ وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد للحقائق والنصوص المنقولة والوقائع التاريخية.

٢. انتشارُ محاضرات المستشرقين التي ألقوها على منابر الجامعات والجمعيات العلمية، بعد دعوتهم إليها من قِبَل القائمين عليها؛ وفي أكثرها طعن في الإسلام وافتراء عليه.

وبخصوص هذا؛ يقول المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي (في كتابه: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة): "هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره؛ لقد مرَّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا

يشدون فيه الرِّحال إلى الأندلس ليتعلموا العلوم حتى علوم الدين المسيحي من علماء الإسلام، أمّا الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عَقِب؛ حيث أصبح المسلمون – وأسفاه – يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا) و (أمريكا) يسألونهم: ما هو الإسلام؟ وما هو تاريخه؟ وما

هي حضارته؟ ليس هذا فقط؛ بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين، لا يجعلونه مادّة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيماناً راسخاً يفوق إيمانهم بالمصادر الإسلامية ؛ مع أنهم – أعني أهل الغرب- لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولا في أتفه الأمور!."

٣. صدورُ الموسوعة التي تحمل اسم (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات، ثم صدور نحو ثلاثة عشر مجلداً منها مترجمة إلى اللغة العربية؛ بعد كتابة مادَّتِها من قِبَلِ حشد كبير من كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام والمسلمين؛ ممن عُرِفوا بدسهم السُّمَّ في الدَسَم.

وقد انتشرت هذه الموسوعة في العالم الإسلامي وأصبحت مرجعاً معتمداً لكثير من الباحثين وطلبة العلم ! رغم ما حوته من أباطيل تتعلق بالقضايا الإسلامية المذكورة فيها.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي

١. انتشارُ (النظام الاقتصادي الاشتراكي) في بعض بلاد المسلمين، و(النظام الاقتصادي الرأسمالي) في بعض بلاد المسلمين الأخرى؛ وذلك كبديل عن (النظام الاقتصادي الإسلامي)، وانقسم العالم الإسلامي على نفسه؛ فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي، وقسم آخر منه يدور في الفلك الرأسمالي.

وقد تم ذلك بفضل جهود المستشرقين في الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي؛ حيث قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الشيوعية والرأسمالية، كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنَّهما لا تمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي.

٢. تشجيعُ الصناعة في البلاد الإسلامية - دون الاستعداد الكافي لها - وإهمالُ قطاع الزراعة. فقد اقتنع العالم العربي بأنَّ النهضة الحقيقية إنَّما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أنَّ نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة ! ولم يزل

الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

ومن الأمثلة على هذا الأمر: ما حدث في (مصر) في عهد الرئيس (جمال عبد الناصر)؛ حيث تم التوسع في مشروعات صناعية (خيالية) مع إهمال شبه تام للزراعة، مما جعل البلاد عالة على الدقيق الأمريكي والأسترالي وغيرهما. وقد حدث مثل هذا أيضاً في (الجزائر)، وإنْ كان العالم الإسلامي - في الحقيقة - لم يتقدم تقدماً مشهوداً؛ لا في الزراعة ولا في الصناعة.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي

إقصاء النظام السياسي الإسلامي، وإحلال الديموقراطية الغربية محله.

- فقد هاجم مستشرقون كثيرون في كتاباتهم (نظام الخلافة الإسلامي)، وافتروا على الخلفاء الراشدين، وزعموا – زوراً وبهتاناً - أنَّ وصول كل من (أبي بكر الصديق) و (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنهما - إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين.
- كما هاجم مستشرقون آخرون (النظام السياسي الإسلامي)، ووصفوه بأنَّه نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية.
- وفي الوقت نفسه مدح المستشرقون الديموقراطية الغربية ووصفوها بأنّها أفضل نظام سياسي توصل إليه البشر حتى الآن، وأنَّه (أي: هذا النظام) يجب أنْ يسود العالم بصفة عامّة والبلاد الإسلامية بصفة خاصّة.
- وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاحتلال الغربي بالفكر السياسي الغربي؛ فقامت باستيراد النظام البرلماني المبني على الديمقراطية الغربية، دون إعداد شعوبها العربية لمثل هذه الأنظمة، فكانت النتيجة (كما قال أحد المستشرقين): إنَّ العرب قد استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات. ولم تزل هذه البرلمانات في بعض البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أنْ يفوز بأغلبية المقاعد، بأية طريقة كانت.
- ولعلَّ من الحقائق المثيرة للانتباه أنَّ (تركيا) كانت من أوائل الدول الإسلامية التي أقصت النظام السياسي الإسلامي، واستبدلته بالديموقراطية الغربية ولكنْ عندما وصل الإسلاميون فيها للحكم عبر صناديق الاقتراع، قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي

ظهر المجن، وأيَّدت العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي

١) انهزامُ الشخصية المسلمة وفقدانُها لعزة المؤمن؛ أمام الشبه التي أثارها المستشرقون حول الإسلام. وفي هذا الخصوص؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي؛ في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة، وتحت عنوان (آثار الاستشراق السلبية على ثقافة المسلمين) :" بقدر ما كان للاستشراق من آثار إيجابية في خدمة تراثنا وإحيائه ونشره، بقدر ما كان له من آثار سلبية على ثقافة المسلمين؛ منها: إضعافُ عقيدة بعض المسلمين، وتشويهُ صورة الإسلام لدى بعض أبنائه، وإشعارهم بتناقض دينهم وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية، مما أدى إلى انهزام نفسية هؤلاء المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدس الفكر المنحرف، وتثير الشبه حول الإسلام"

٢) دخولُ المصادر الغربية إلى قلب التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة؛ سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى، أو في منهجية فهم هذه المصادر وفهم منهجية التعامل معها؛ بعد أنْ كان المسلمون يعيشون على هدي من القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة (الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً) في جميع مجالات الحياة.

وقد تحقق هذا كنتيجة لنجاح الاستشراق في التأثير سلباً على الثقافة في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ذلك النجاح الذي استطاع الاستشراق إنجازه بسبب ما يأتي: -

✓ سيطرتِه على وسائل الإعلام المختلفة (من صحافة ، وإذاعة ، وتلفاز، وغيرها) في كثير من بلاد العالم الإسلام ؛ فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عمليات الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية. مما أتاح للاستشراق نشر ثقافته وفكره الغربيين خلالها. وبهذا الخصوص؛ يقول إدوارد سعيد (في كتابه: الاستشراق) : '' وتطغى الآراء المعاصرة

للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فهو يصور العرب مثلا على أنَّهم راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهين، تمثل ثروتهم (غير المستحقة) إهانة للحضارة الحقيقية ".

- ✓ سيطرتِه على منابر الرأي في كثير من بلاد العالم الإسلامي، من خلال ما أنشأه على أراضيها من مدارس وجامعات غربية، ومن خلال أبناء الأمة الإسلامية الذين تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية .

٣) دخولُ فنون اللهو غير المباح (من مراقص وغناء وغير ذلك) إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية بواسطة المسارح ودور السينما التي أنشأها المستشرقون أو مَوَّلوا إنشاءَها في العالم الإسلامي.

٤) تسلُّلُ الفكر الغربي العلماني إلى الأدب العربي (شعراً ونثراً وقصة)؛ حيث وصل إليه المستشرقون عن طريق وسائل الإعلام ومنابر الرأي، وبخاصة عن طريق ما سمي (الحداثة) التي تدعو إلى: نقد النصوص المقدسة، وتحطيم السائد والموروث، ومحاربة اللغة الفصحى. فقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة، ولم يتيحوا لأحد سواهم تقديم أيَّة وجهة نظر تخالفهم، وإلاّ نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

لا تنسوا امي واخي من دعواتكم

المحاضرة السادسة

علاقة الاستشراق بالتنصير

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير (وِحدَةُ الهدف).

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير (مُستشرقون مُنَصِّرون).

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير

- مِمّا تم التأكيد عليه (سابقاً - في المحاضرة الرابعة -)، أثناء الحديث المتعلق بأهداف الاستشراق: أنَّ الهدف الديني منها قد سار - منذ البداية - في الاتجاهات المتوازية الثلاثة الآتية (التي كانت متضافرة؛ عملت معاً لتحقيقِه): -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولةِ دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه.

الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتِه عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية).

الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفسادِ دينِهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً.

- إذَنْ؛ التنصير جزء مهم من الهدف الديني للاستشراق، لا يمكن فصله عنه ولا إخراجه منه؛ فهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً يقيمُ العلاقة بينهما على أساس قوي متين هو وحدة الهدف.
- إنَّ (المستشرق) و(المنصِّر) يكمل أحدهما الآخر؛ فبالرغم من حملهما وصفين مختلفين، أحدهما (مستشرق) والآخر (مُنَصِّر)، إلا أنَّهما وجهان لعملة واحدة، ولا يختلفان عن بعضهما إلا في توزيع العمل بينهما؛ فالمستشرق يركز في عمله على الدراسة والبحث العلمي، والمنصر يركز في عمله على تقديم الخدمات الإنسانية بأنواعها من تغذية وتعليم وعلاج وما يشبه ذلك. لكنَّ هدفهما في النهاية واحد؛ وهو إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إمّا إلى التَّنَصُّر، أو إلى الرِّدَّة عن دينه إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ إذ سوف تكون النتيجة في الحالتين واحدة، وهي التبعيــة للغرب

النصراني والخضوع له فكرياً واجتماعياً. وبهذا الخصوص؛ يقول المستشرق الألماني (رودي باريت) – مبيناً الهدف الرئيس لجهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي والقرون التالية له - : '' كان الهدف من هذه الجهود هو التبشير؛ وهو إقناع المسلمين (بلغتهم) ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي '' .

- إنَّ كلاً من (المستشرق) و (المُنَصِّر) يتم إعداده لتحقيق هذا الهدف إعداداً جيداً متشابهاً، ويتضح هذا الإعداد المتشابه في المؤهلات الضرورية التي يُشْتَرط توفرها في كل (مستشرق) و (مُنَصِّر)، وهي كثيرة [بَسَطَها إبراهيم خليل أحمد – المنصر القبطي الذي هداه الله إلى الإسلام فأسلم وترك مهنة التنصير - (في كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، ونقل عنه أحمد غراب (في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق)بعضها]؛ فمنها: -

١. دراسة اليهودية والنصرانية والكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) دراسة لاهوتية وتاريخية مُعمَّقة؛ تعمق وعي كلٍّ من المستشرق والمنصر بدينه؛ ليتمكن من مواجهة الدين الإسلامي مواجهة عقائدية. وهذه الدراسة اللاهوتية هي السبب في كون كثير من المستشرقين قساوسة.
٢. دراسة اللغة العربية، والتعمق في دراسة الدين الإسلامي من جميع جوانبه؛ لإكساب كلٍّ من المستشرق والمنصر القدرة على التشكيك في الإسلام، وإثارة الشبهات حول مصدريه (الكتاب والسنة) وتاريخه وتشريعاته.

وبهذا الخصوص؛ يقول يوهان فوك (في كتابه: تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا): '' إنَّ كثيرا من المستشرقين قد بدئوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية ،وكان همهم إرساءَ نهضة الكنيسة وتعاليمها، لا سيما في العصور الوسطى؛

أيْ أنَّ هدفهم كان تنصيرياً واضحاً، فكأنَّ الاستشراق إنّما قام ليُغَذّي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة (المُنَصِّر) ".

- وقد عمل عدد كبير من المستشرقين مع الدوائر التنصيرية؛ فكان من بين المستشرقين الذين تميزوا في مجال التنصير في العالم الإسلامي كلٌّ من: -

✓ ألفريد جيوم؛ وهو مستشرق مُنَصِّر إنجليزي.

✓ روبرت سميث؛ وهو مستشرق مُنَصِّر اسكتلندي.
✓ هنري لامانس؛ وهو مستشرق مُنَصِّر بلجيكي.
✓ صَمْويل زويمَر؛ وهو مستشرق مُنَصِّر أمريكي.

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير

تبيَّن مما تقدم: ارتباط التنصير بالاستشراق ارتباطاً وثيقاً، وقيام العلاقة بينهما على أساس قوي متين هو وحدة الهدف. ولعلَّ مِمّا يؤكد هذا الارتباط ويزيده وضوحاً النموذجان الآتيان لِمُسْتَشْرِقَيْنِ مُنَصِّرَيْن مشهورين - وهما على سبيل المثال لا الحصر-: -

❑ ***النموذج الأول:*** *المستشرق المُنَصِّر (ريموند لول)*

- ارتبطت البداية العقائدية للاستشراق في أوروبا – أي: كظاهرة عداوة عقائدية للإسلام – ارتباطاً تاريخياً ببداية ظهور الإسلام؛ أمّا البداية الرسمية له – أي: كدراسات أكاديمية منظمة في مؤسسات علمية كالجامعات – فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتنصير، حيث أدى المستشرق المُنَصِّر المشهور (ريموند لول) دوراً كبيراً ومهماً بهذا الشأن؛ إذْ بناء على اقتراحه الذي قدَّمه إلى مؤتمر (فِيينّا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ قرَّر ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (منها: جامعة باريس، وجامعة أكسفورد، وجامعة بولونيا، وغيرها)؛ بهدف نشر النصرانية بين المسلمين، وفي تلك الجامعات تخرج المستشرقون المنصِّرون المحترفون الأوائل.

  ونظراً للصفة الرسمية لمؤتمر (فِيينّا) الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب؛ عُدَّ ما قرَّره بهذا الشأن (البداية الرسمية للاستشراق).
- تعلم (ريموند لول) اللغة العربية، وحثَّ النصارى على تعلمها ليس حباً لها - فقد كان يصفها بأنها لغة تشبه أصوات الحيوانات ولغاتها - ولكن لاستخدامها في عملية تنصير المسلمين.

- مارس (ريموند لول) التنصير في (الجزائر) و(تونس)، كما ألَّف كتباً في الرد على المسلمين ومجادلتهم والطعن في دينهم.
- كان حلم حياة (ريموند لول) هدم الإسلام - وفقاً لما وصفه به (رينان) -، وجاءَت مطالبه التي رفعها إلى (كنيسة روما) في هذا السياق؛ فقد كان من بينها: طلبه إنشاء مدارس تنصيرية، وطلبه

إعداد منصرين مدربين وإرسالهم إلى بلاد المسلمين، وطلبه إرسال حملة صليبية عسكرية إلى غرناطة وشمال إفريقيا وفلسطين للقضاء على المسلمين فيها.

- وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (ريموند لول) في الجمع بين الاستشراق والتنصير والعمل على تحقيق هدفهما؛ احتل مكانة مرموقة لدى كل من المستشرقين والمنصرين، وصارت شخصيته عزيزة عليهم ومحببة إليهـــم

إلى حد تسمية أحدهم لمولوده باسمه (أي: ريموند لول) إعجاباً به وتخليداً لذكراه، وتأليفه بخصوصه كتاباً سمّاه: (أول منصر بين المسلمين)، وقوله في بيان فضله على المستشرقين: " وإلى يومنا هذا؛ كل مستشرقي أوروبا وكتاباتهم مدينة لريموند لول؛ لأنَّ الفضل للمتقدِّم" .

أمّا من فعل هذا فهو المستشرق المنصر الأمريكي المدعو (صمويل زويمر) المعروف بتعصبه ضد الإسلام؛ وهو النموذج الثاني.

❑ ***النموذج الثاني:*** *المستشرق المُنَصِّر (صَمْويل زويمَر)*

- جمع هذا الرجل في نشاطاته العلمية والأكاديمية بين الاستشراق والتنصير! فكان من أهم إنجازاته في هذا الشأن: -

١) تأسيسه لمجلة (العالم الإسلامي)؛ وهي مجلة أمريكية، تُعَدُّ أخطر مجلة تنصيرية عالمية؛ تنشر بحوث المستشرقين المنصرين ومقالاتهم المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وقد ترأس تحريرها لمدة ست وثلاثين سنة، ونشر فيها عدة مقالات له، هاجم فيها الإسلام بشراسة.

٢) تأليفه في مهاجمة الإسلام والافتراء عليه كتباً شتى؛ فمنها: -

- ✓ الإسلام تَحَدٍّ لعقيدة (أصدره سنة: ١٩٠٨م).
- ✓ تَفَكُّك الإسلام.
- ✓ دراسات في الإسلام الشعبي.
- ✓ تأثير الخرافات الشعبية بين المسلمين على الإسلام؛ وهو أحد المراجع الأساسية للمنصرين التي أوصى بها (مؤتمر كولورادو) التنصيري، سنة (١٩٧٨م).

٣) تأسيسه مع زملائه (الإرسالية الأمريكية العربية) في منطقة الخليج العربي، سنة (١٨٨٩م). تلك الإرسالية التي عُرِفَت بممارستها للنشاطات التنصيرية خفية؛ وذلك من خلال التعليم والتطبيب؛ حيث أنشأت العديد من المدارس والمكتبات والكنائس في البصرة والكويت

وقطر والإمارات، واستمرت في ممارسة نشاطاتها إلى سنة (١٩٧٣م) ثم توقفت.

٤) تنظيمه للمؤتمرات التنصيرية العالمية، وهي كثيرة؛ فمنها: -

- ✓ مؤتمر (القاهرة) التنصيري، سنة (١٩٠٦م)؛ ذلك المؤتمر الذي ضمَّ ستين ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية تنصيرية، وَوُصِفَ بأنَّه يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين.
- ✓ مؤتمر (أدِنْبَرَة) للإرساليات العالمية، سنة (١٩١٠م).
- ✓ مؤتمر (لكهنئو) – بالهند – التنصيري الثاني، سنة (١٩١١).
- ✓ مؤتمر (القدس)، سنة (١٩٣٥م)؛ وفيه أَعْلَنَ بعض الأهداف التنصيرية الخبيثة؛ حيث خاطب المنصرين قائلاً – وِفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام -

"إنَّكم أعددتم نشئاً (في بلاد المسلمين) لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أنْ يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي؛ لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات: فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإنْ تَبَوَّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء. إنَّ مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار؛ فاستمروا في أداء رسالتكم".

- وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (صمويل زويمر) في الجمع بين الاستشراق والتنصير وخدمة هدفهما؛ وتقديراً لجهوده في هذا المجال تم إنشاء معهد في جنوب كاليفورنيا، يحمل اسمه (معهد صمويل زويمر)؛ جعلت مهمته إعداد الأبحاث وجمع المعلومات وتدريب المنصرين على تنصير المسلمين. وذلك بتوصية من (مؤتمر كولورادو) التنصيري.
- وإنَّ ما قاله رئيس منظمة التصور العالمي التنصيرية الدولية؛ المدعو (ستانلي مونيهام) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو

التنصيري، في الإشادة بالمستشرق المنصر (صمويل زويمر) لَيَدُلُّ دلالة واضحة على تلك المكانة المرموقة التي احتلها هذا الرجل لدى كل من المستشرقين والمنصرين.

- قال (ستانلي مونيهام) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو التنصيري،– وِفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام - :

"أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام، والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي؟ ليعطنا الرب رجلا مثل (صمويل زويمر)؛ الذي أتقن اللغة العربية، وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات، ومنصراً مقنعاً.

لقد عمل لمدة ثلاث وعشرين سنة منصراً في الجزيرة العربية، وست عشرة سنة مديراً لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة.

واستطاع في الوقت نفسه الإشراف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة ست وثلاثين سنة، وهي مجلة العالم الإسلامي " .

ومن خلال هذين النموذجين تتضح صورة العلاقة الحميمة بين الاستشراق والتنصير !

المحاضرة السابعة

علاقة الاستشراق بالاستعمار

أولاً:

إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

ثانياً:

خدمات الاستشراق للاستعمار

ثالثاً:

خدمات الاستعمار للاستشراق

أولاً: إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

- إنَّ علاقة الاستشراق بالاستعمار علاقة قوية متينة؛ أنتجها التقاء الهدف الديني للاستشراق والهدف السياسي للاستعمار؛ في إضمارهما كليهما الشر للأمة الإسلامية وحرصهما على إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً ووطناً).
- فإذا كان الاستشراق يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً)؛ وذلك بالعمل على إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إلى الردَّة عنه إلى (النصرانية) أو إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ فإنَّ الاستعمار يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (وطناً)؛ وذلك بالعمل على إخضاعهم واحتلال أراضيهم، ونهب ثروات بلادهم.
- إذَنْ؛ فإن النتيجة المترتبة على تَحَقُّق هدفيهما سوف تكون واحدة، وهي: خضوع المسلمين للغرب، وتبعيتهم له فكرياً واجتماعياً وسياسياً.
- ومن هنا تعاون الاستشراق والاستعمار دائماً على (الشرِّ والعُدْوان) ،ولم يتعاونا أبداً على (الخير والإحسان)؛ وذلك في تعاملهما مع الأمة الإسلامية.
- فقد عُرِف المستشرقون بعمالتهم للاستعمار، وحرصهم على تحقيق أهدافه، وكانوا الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم – وفقاً لما يراه العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية) -.

- ولقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين (المستشرق) و(المستعمر) إلى حد تعذّر معه التمييز بينهما - فعلى سبيل المثال لا الحصر-: في الوقت الذي **بدا** فيه مستشرق بريطاني وكأنّه (موظف استعماري)، حيث أصدر كتاباً في أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج؛ الجغرافي والتاريخي)، **بدا** كثير من الموظفين الاستعماريين وكأنَّ كل واحد منهم (مستشرق)، حيث كانوا على دراية بالشرق (لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً)، لأنَّ الاستعمار كان

يشترط على كل متقدم لوظيفة في الإدارة الاستعمارية الدراية التامَّة بالمنطقة التي سيعمل فيها.

❑ **حَرِيٌّ بالذِّكْر:**

- أنَّ الغرب النصراني بدأ استعماره التدريجي للشرق الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
- وما أنْ أتت نهاية ذلك القرن حتىّ كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريباً – في قارتي آسيا وأفريقيا – قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي النصراني بوجه عام، والاستعمار البريطاني والفرنسي بشكل خاص.

ثانياً: خدمات الاستشراق للاستعمار

❑ لقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار؛ وقدموا له خدمات جليلة، وهي كثيرة؛ فمنها: -

✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بثروات البلاد المراد استعمارها وخيراتها؛ ممّا عزَّز أطماعه في استعمارها؛ للاستيلاء على تلك الثروات والفوز بتلك الخيرات.

✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بجغرافية البلاد المراد استعمارها وتاريخها؛ ممّا سهل عليه إخضاعها والسيطرة عليها.

✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بالخلفية الفكرية للبلاد المراد استعمارها، وأسرها الحاكمة، وعادات أهلها وتقاليدهم؛ ممّا سهل عليه فهم أهلها المُخْضَعين والتعامل معهم، ونيل ثقتهم.

✓ أنَّهم هَيَّئوا أهل البلاد المراد استعمارها نفسياً لِتَقَبُّل الاستعمار؛ وذلك بما أقنعوهم به من أنَّ الاستعمار سيجلبُ لهم الرفاهية ويُحَسِّنُ أحوالهم المعيشية والخدماتية، وغير ذلك ممّا أوهموهم به؛ ليستسلموا للاستعمار ويتقاعسوا عن مقاومته. ولا يخفى ما في ذلك من خدمة للاستعمار وتسهيلٍ لمهمته.

❑ وقد كان من بين هؤلاء المستشرقين الذين قدموا للاستعمار تلك الخدمات الجليلة؛ كلٌّ من: -

١. **الكونت دوفولني؛** وهو مستشرق فرنسي، انتحل شخصية رحَّالة فطاف البلاد الإسلامية، وجمع مشاهداته في كتاب سمّاه (رحلة في مصر وسورية) - صدر عام (١٧٨٧م) في مجلدين- تعرَّض فيه للإسلام بسوء؛ بل تحامل عليه، وَعَدَّ الشرق الإسلامي مجرَّد مكان يمكن لفرنسا احتلالـــه

وتحقيق أطماعها الاستعمارية فيه؛ وكان كتابه هذا مصدراً اعتمد عليه الإمبراطور الفرنسي (نابليون بونابرت) في وضع خطة حملته على مصر.

٢. **بارتولد** (ت:١٩٣٠م)؛ وهو مستشرق روسي، ومؤسس (مجلة عالم الإسلام) الروسية. وقد قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في (آسيا الوسطى).

٣. **كارل بيكر** (ت:١٩٣٣م)؛ وهو مستشرق ألماني، ومؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية، التي صدرت عام (١٩١٠م)، ويعد من أشهر المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي. تولى منصب أستاذ في معهد هامبورغ الاستعماري الذي أنشأته الحكومة الألمانية لمساعدتها في التعامل مع الشعوب العربية والأفريقية، وقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في قارة أفريقيا.

٤. **سنوك هَرْجَرونْجِه** (ت:١٩٣٦م)؛ وهو مستشرق هولندي، ادّعى الإسلام وتظاهر به (كذباً وتمثيلاً). قدم إلى إندونيسيا، فزار (سومطرة) و(آجي) وأقام في (جاوة) مدة سبعة عشر عاماً، تزوج خلالها مسلمة - وله منها أولاد – ووثق صلته بكثيرين من علمائها. وقد خدم الاستعمار الهولندي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الهولندية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في إندونيسيا.

قام بمهمة سرية تجسسية لجمع المعلومات عن المسلمين في إقليم (آجي) الثائرين على الاستعمار الهولندي، التقى خلالها العلماء بصفته مسلم، فاكتشف أنهم المحرك الأول للثورة الإسلامية هناك؛ فعاد وقدَّم تقريره لحكومته، أوصاها فيه بما كانت نتيجته إبادة الجيش الهولندي المستعمر لأكثر من مائة ألف مسلم ومسلمة، وتدميره لقراهم بكاملها.

ثم قدم إلى مكة عام (١٨٨٥م) تحت اسم (عبد الغفار)، فمكث فيها مدة نصف عام، وثق خلالها صلته بالكثير من أهل العلم بتردده على مجالسهم العلمية، كما التقط خلالها صوراً لمكة وللأماكن المقدسة. ثم عاد إلى بلاده ليكتب تقاريره التي تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي. وقد صدرت تلك الصور في كتاب مستقل بمناسبة مرور مائة سنة على التقاطها.

٥. **دَنْكان ماكدونالد** (ت:١٩٤٣م)؛ وهو مستشرق أمريكي من أصل انجليزي. كان من أشد المتعصبين ضد الإسلام . وهو من كبار محرري (دائرة المعارف الإسلامية) ، ومن كتبه : (الموقف الديني والحياة في الإسلام) - أصدره عام ١٩٠٨م - . وقد خدم الاستعمار البريطاني؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة البريطانية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية.

٦. **لـويس ماسـينيون** (ت:١٩٦٢م)؛ وهـو مستشـرق فرنسـي، شـغل منصب مدير الدراسات في (المدرسة العلمية العليا) بفرنسا. وقد خدم الاستعمار الفرنسي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في دول شمال أفريقيا.

٧. **هاملتون جِب** (ت:١٩٧١م)؛ وهو مستشرق انجليزي. شغل منصب مدير (مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد عمل بصفة رسمية كمستشار لكل من الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية في تخطيط سياستيهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

إذَنْ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية بقوة وبإخلاص تام.

ثالثاً: خدمات الاستعمار للاستشراق

❑ **لقد خدم الاستعمار الاستشراق خدمات كبيرة؛ وهي كثيرة، فمنها:-**

➢ تسخير الحكومات الاستعمارية إمكانياتها المادية الضخمة لخدمة الجهود الاستشراقية؛ من حيث:

✓ دعم المستشرقين دعماً مادياً ومعنوياً.

✓ توفير الدعم المالي الطائل لوسائل النشر والإعلام المعنية بنتاج الباحثين المستشرقين.

- ✓ اعتماد ميزانيات مالية كبيرة لصالح مراكز الدراسات الاستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية في الشرق الإسلامي، ولكراسي تدريس اللغة العربية والإسلام بالجامعات.
- ➢ إنشاء الحكومات الاستعمارية المعاهد والمدارس المعنية بدراسة الشرق الإسلامي؛ وهي كثيرة، فمنها: -
- ✓ إنشاء (معهد اللغات الشرقية) بباريس، عام (١٨٨٥م)، من قِبَل الحكومة الفرنسية، وتحديد مهمته بأنَّها: الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى؛ مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.
- ✓ تأسيس (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) بجامعة لندن، من قبل الحكومة البريطانية، بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.
- ✓ تأسيس (مجلس الشئون الشرق أوسطية) عام (١٩٤٩م) في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.
- ➢ منح الحكومات الاستعمارية المستشرقين فرصة الاطلاع على التراث الفكري والحضاري للمسلمين - من مراجع ومخطوطات ووثائق علمية تتعلق بالإسلام (عقيدة وشريعة وتاريخاً) وعلوم المسلمين، والتي بلغ عددها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي مائتين وخمسين ألف مجلد؛ وفقاً لما ذكره مصطفى السباعي في كتابه: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- ذلك التراث المهم الذي حصلت عليه تلك الحكومات ونقلته إلى عواصمها؛ لتُسَهِّل على المستشرقين الوصول إليه، ودراسته في المؤسسات العلمية المعنية (من معاهد وجامعات). ولا يخفى ما في هذا من عون للمستشرقين لتحقيق أهدافهم، وخاصة الديني منها؛ المتمثل بالتحريف للإسلام والتشكيك فيه وإثارة الشبه حوله.

إذَنْ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية، وخدمت الحكومات الاستعمارية الهدف الديني للاستشراق؛ بما لا يدع مجالاً للشك في **قوة العلاقة التي تربط الاستشراق بالاستعمار، وأنَّها علاقة تقوم على أساس (إضمار الشر) للأمة الإسلامية، و(التعاون على العدوان) عليها.**

يقول المفكر الإسلامي (فالح الصغيِّر) في بحثه: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية: " **والحق أنَّ الاستشراق صار ملازمًا للاستعمار أينما حَلَّ**

وأناخ، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة" .

لاتنسوا امي واخي من دعواتكم